

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال المصنف - رحمه الله - :

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨] ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

قال (ودليل شهادة أن محمداً رسول الله) انتقل إلى الشق الثاني من الشهادة، وقد ذكرت لكم أن الشهادتين ركن واحد فكيف كانا ركن واحداً مع تعدد المشهود به، هما ركن واحد مع أن المشهود به متعدد السبب أنه لا يمكن إثبات شهادة أن لا إله إلا الله إلا بإثبات شهادة أن محمداً رسول الله كيف نعبده الله - عز وجل - كيف نحقق توحيد الألوهية إلا بما أخبرنا به نبيه - صلى الله عليه وسلم - فلا انفكاك بين شقي الشهادة، كذلك لا يكون الإنسان متبعاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حقاً وصدقاً إلا وقد امتثل أعظم ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو توحيد رب العالمين فصارت الشهادتان ركناً واحداً لا ينفصل بعضه عن بعض، دليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة: ١٢٨] إي والله من أنفسكم يعني من جنسكم، لم يزل الله تعالى ملكاً كما اقترح المقترحون قال الله تعالى {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ} [الأنعام: ٩] {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} [الإسراء: ٩٥] لكن حكمة الله البالغة أن يكون النبي من جنس قومه يحس بما يحسون ويفعل بنفسه وببشريته ما يأمرهم بفعله فلذلك كان من أنفسهم وفي قراءة من (أنفسكم) لكن القراءة المشهورة من أنفسكم {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي يعز عليه ما يشق عليكم ويعنتكم، {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أي أنه شديد الشفقة - صلى الله عليه وسلم - على أمته.

فيحرص على دلاتهم على الخير وعلى تجنيهم الشر وقد كان إي والله فإن نبينا - صلى الله عليه وسلم - كما قال ربنا : {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨] ، ففي قلبه من الشفقة على أمته ما لا تتسع له العبارات، فهو بالمؤمنين رءوف يعني: ذو رأفة. رحيم: ذو رحمه.

وفي هذا دلالة على جواز أن يسمى غير الله باسم من أسماء الله تعالى على اعتبار أن ما لله يليق به وما للمخلوق يليق به. فيصح أن، بل يجب إن نصف نبي صلى الله عليه وسلم بأنه رؤوف رحيم، مع أن الرؤوف من أسماء الله الحسنى والرحيم من أسماء الله الحسنى، ولا تعارض، لأن الرأفة والرحمة وسائر الصفات بينها معنى مشترك، وهذا الاشتراك يكون في الأذهان، في المعاني المطلقة فإذا أضيف تخصص، فإذا قيل رحمة الله فهي رحمة تليق به، وإذا قيل رحمة الأم صارت رحمة معهودة، وإذا قيل رحمة الأب فهي رحمة كذلك مخصوصة، وهكذا.

إذاً لا أشكال إن يطلق على المخلوق اسم أو صفة مما يسمى الله به أو يوصف الله تعالى به، على اعتبار أن ما لله يليق به وأن له منه المثل الأعلى {وَكُلُّ الْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الروم: ٢٧]، وأن ما للمخلوق يليق به.

فقد كان لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة بأمنته أعلى ما يمكن أن نتصوره من البشر وشوهد هذا كثيرة كتب السيرة ذاخرة بكمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته.

ثم بين معنى الشهادة فقال: (ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع): ما أجمل هذه العبارات المرتبة.

قال الشيخ: (طاعته فيما أمر) وكنت أود لو ابتداء بأمر التصديق لكي تكون الطاعة والاجتناب سواء، مما يتحقق به شهادة أن محمد رسول الله أن نصدقه فيما أخبر، فإذا نبهه صلى الله عليه وسلم عن أمر من الأمور فإننا نطيع به نفساً ونقر به عين ولا نعرضه على الاحتمالات أو نقول هذا تحت الفحص والمراجعة لا، لا يمكن أن يثبت إيمان إلا بأن يقطع الإنسان بصدق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

ومثال ذلك: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء في ليلة واحدة ورجع أدراجه إلى مكة أصبح مهموماً حزيناً لا يدري كيف يبدأ قريش بهذا الخبر، فمر به أبو جهل قال: مالك يا أبا القاسم، قال أنه قد أسري بي البارحة فأتيت مسجد إيليا فضليت فيه، ففرح أبو جهل بهذا الخبر وقال: أجمع لك الناس لتخبرهم، ها هذا نشاط دعوي!! لا يعلم أن كثير من الناس إذا سمعوا بهذا الخبر سيكون سبباً في ردهم وفعلاً جمع الناس وقال استمعوا لما يقول محمد صلى الله عليه وسلم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يخبرهم وهم مندهشون، فضحكوا وقالوا: ما ظهر كذبك في يوم من الأيام مثل ما ظهر في هذا اليوم، وحتى إنهم قد أردوا إحراجه فقالوا: أن قد أتينا مسجد إيليا فصفه لنا.

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد تأمل فيه، فإدراكه من الكرب شيء عظيم، لكن الله تعالى جلي له المسجد، فكأنه أمامه

فجعل ينعتهم لهم نعتاً دقيقاً فعجبوا أشد العجب، لأنهم يعلمون أنه لن يذهب، ولم يصل إلى ذلك الموضوع، غاية ما يصل إلى اللقاء في الشام ثم عاد به عمه خوفاً عليه من اليهود، ما الشاهد من هذه القصة إن بعض هؤلاء القوم انفضوا من المجلس وذهبوا إلى أبوبكر رضي الله عنه فقالوا يا أبي بكر: انظر ماذا يقول صاحبك أنه يزعم أنه أتى مسجد إيليا في ليلة، ونحن نضربوا إليه أكباد الإبل شهراً و نعود شهراً ويزعم أنه أتاه في ليلة واحدة ورجع. أتدرون ما قال رضي الله عنه قال: إن كان قاله فقد صدق. دون تردد ما قال: لا اصبروا أتين، ما أعطاهم فرصة ليتقربوا منه شيئاً. قال إن كان قاله: فقد صدق، فأني أصدقه بخبر السماء يأتيه في المجلس الواحد^(١). معنى ذلك أنه يصدقه في خبر السماء فمن باب أولى أن يصدقه فيما دون ذلك. فلأجل ذلك سمي بالصديق، فالصديق هو المبالغ في التصديق يعني الذي بلغ الغاية في التصديق.

ويتبين أيها الإخوان أن معنى تصديقه فيما أخبر لأن كثيراً من الناس يشهد أن محمد رسول الله لكن أحياناً إذا جاءه حديث أو النص قال هاه إيش لون اصبر إيه ولو، يأخي هذا ليس تصديقاً، التصديق أن تطيب نفسك و تقر عينك في خبر النبي صلى الله عليه وسلم بشرط ثبوته وصحته. المثال الثاني ما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم (بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الدُّبُّ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الدُّبُّ فَقَالَ مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي وَبَيْنَمَا (وَبَيْنَا) رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَتْ إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي أُوْمِنُ بِذَلِكَ

(١) انظر البداية والنهاية (٣/١٠٩-١١٥).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

لم يشرعه النبي صلى الله عليه وسلم ولذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ (مِنْهُ) فَهُوَ رَدٌّ)^(١) (وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)^(٢) أضبطوا هذه القضية، لأن كثيرا من المسلمين ضل في باب الاتباع وظن أنه بوسعه أن يحدث في الدين ما يزينه عقله ويستحسنه برأيه، وهذا عند العلماء بدعة وتعريف البدعة كما عرفها الإمام الشاطبي رحمه الله قال: هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية بقصد بالسير عليها المبالغة في التعبد لله تعالى^(٣)، كما في كتاب الاعتصام، قال تضاهي الشريعة: أي أن صفتها وصورتها مثل الأمور المشروعة. والمهم أن هذا هو المعنى لشهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينبغي لنا حينما نسمع المؤذن يقول اشهد إلا اله إلا الله واشهد إن محمد رسول الله يقوم في قلوبنا هذه المعاني و أن نجدد العهد مع الله تعالى بتوحيده واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) صحيح مسلم (٢٦٩٧) (صحيح مسلم (١٧١٨).

(٢) صحيح البخاري (٢١٤١)، صحيح مسلم (١٧١٨).

(٣) الاعتصام (٣٧/١).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -